الفصلُ الثّاني

مسيرتُهُ العلميَّةُ والثَّقافيَّةُ

- دراستُهُ .
- سفرُهُ إلى الخارجِ .
- المناصبُ التي تقلَّدَها .
- مُشاركتُهُ في المُؤتمراتِ والنَّدواتِ الدَّوليَّةِ .

المبحثُ الأوَّلُ

دراستُهُ

بعدَ أنْ أتمَّ «البهيُّ» حفظَ القُرآنِ الكريمِ ، قرّرَ والدُهُ أن يُلحقَهُ بالمعهدِ الدِّينيِّ ، في مدينةِ الإسكندريةِ ، ليواصلَ تعليمَهُ في المرحلةِ الابتدائيّةِ ، حيثُ أقامَ في مبنى المعهد ، بمكانٍ يُطلقُ عليه «الورديان» ، ثمّ انتقلَ بعدَ ذلكَ إلى المعهدِ الثانويّ ، وكان يشتركُ في المعيشةِ مَعَ غيرِهِ مِنَ الطُّلابِ[1] ـ فهو يُحسنُ اختيارَهم ، بالرَّغمِ مِنْ حَداثةِ سنِّهِ في ذلكَ الحينِ ـ إلاّ أنّهُ يقومُ بأعباءِ نفسهِ بنفسهِ ، كغسيلِ ملابسهِ مثلاً . يصِفُ حالتَهُ الدراسيّةَ في المعهدِ الثّانويِّ بالإسكندريّةِ قائلاً : (ابتدأنا نناقشُ الشيخَ[2] في علمِ المَعاني ، وظنَّ أنّنا نحنُ الثلاثةُ[3] نُذاكرُ كثيراً ، ونُلِمُّ إلماماً جيداً بمسائلِ العلمِ ، وفِعلاً كانَ مِنْ عادَتنا أنّنا نُراجعُ في أشهُرِ الصّيفِ ، جميعَ المُقرراتِ وبذلكَ نكونُ على اتصالٍ بمادةِ العلم . ثمَّ أثناءَ الدِّراسةِ لا نذهبُ إلى الدّرسِ قبلَ أنْ نُحيطَ بهِ ، فعندَما أحسَّ الشيخُ بأنّنا نُكثِرُ منَ الأسئلةِ سواءٌ أكانت مُدرجةً في الحواشي أم لا ، لذا طلبَ

---

(١) هؤلاء الطلاب هم : «عبد الله المشدّ»، يقولُ فيه «البهيُّ»: كان نعمَ الزميل والصديق ، فقد تحمّلَ أعباءَ . . . الإنفاق على المعيشة لنا ولطلابٍ آخرينَ ، و «محمد عبد الله ماضي» ، يقول عنه : الذي كان يجذبني إليهِ هو خُلُقُهُ الكريمُ ، وترفُّعُهُ عن الدّنايا والصغائرِ . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٢٩ .

(٢) الشيخ هو« أمين سرور» ، من الزقازيق أصلاً ، عُضوٌ في مجلسِ إدارة المعهد الدينيّ الثانويِّ في الإسكندريّةِ ، ومُدرِّسُ البلاغة فيه . انظر ، المرجع السابق نفسه .

(٣) الثلاثةُ : هم الطلابُ التّاليةُ أسماؤُهُم : عبد اللطيف الباسل من دمياط ، ومحمود مرسي : من الإسكندرية ، ومحمد البهيّ . انظر ، المرجع السابق نفسه .

إلى شيخِ المعهدِ[1]، أنْ يقبلَ تَنَحّيهِ عنْ مُباشرةِ التّدريسِ . . . [فاستُجيبَ لطلبِهِ] وضُمَّ [فصلُنا] إلى فصلٍ آخرَ ، [كان يُدرِّسُهُ] عُضوٌ[2] [من] جماعةِ كِبارِ العُلماءِ في ذلك الوقتِ . . . . حتى جاءَ امتحانُ آخرِ العامِ ، وانتقلتُ إلى امتحانِ شهادةِ الثّانويّةِ بترتيبِ الأوّلِ ، وكانت دَرَجَتِي في علمِ المَعاني هيَ الدّرجةُ الكُبرَى)[3].

في بدايةِ العامِ الدّراسيِّ الجديدِ طُلِبَ «البهيُّ» إلى شيخِ المعهدِ ، فَوَجَدَ عندهُ أُستاذَ مادةِ علمِ المَعاني ، فسلَّمَ عليهِ وقبّلَهُ ، وأثنَى على معرفتِهِ المُنظَّمةِ ، وفَهمِهِ الواضحِ ، من خلالِ إجاباتِهِ في المادةِ العلميّةِ ، ومنحَهُ مُكافأةً ماديّةً قيِّمةً . كانت حافزاً له للالتحاقِ بالأزهرِ الشّريفِ عامَ ١٩٢٥م ، مُباشَرةً بعدَ الانتهاءِ مِنَ الدّراسةِ بمعهدِ الإسكندريّةِ ، وقد قاربَ وقتئذٍ الحاديةَ والعشرينَ من العُمُرِ ، وفي أوّلِ يومٍ من دخوله الأزهرِ ، شعرَ بوحشةٍ كادت تعصِفُ في حياتِهِ . أخَذَ يصِفُ نَفسَهُ ، قائلاً : (كُنْتُ حزيناً في نفسِي للتّغييرِ ، الذي طرأَ على حياتي هُنا في «القاهرة» ، ثمّ تردّدَ في نفسي أمرٌ ، سيكونُ لَهُ تأثيرٌ بالإيجابِ أو بالسّلبِ على مُستقبلي ، وهو أني أترُكُ الانتظامَ ، في دراسةِ الأربعِ سنواتٍ بالقسمِ العالي[4]، وأتقدّمُ مباشرةً للامتحانِ في الشّهادةِ العالميّةِ[5]، في موادٍّ

---

(١) شيخ المعهد هو : « محمد عبد اللطيف الفحّام» كان إماماً للملك « فؤاد الأول» قبلَ أن يتعيّنَ شيخاً للمعهدِ ، كان أنيقاً في مظهره ، حريصاً على النّظامِ والنّظافةِ . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٣٠ .

(٢) العضو : هو« الشيخ القطيشي» وعمل مُدرِّساً لمادة البلاغةِ العربيّةِ ، في المعهد الثانويّ في الإسكندريّةِ . انظر ، المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) يقصد بالقسم العالي : هو الدراسة الجامعية الأولى ، بعد الثانوية العامّة ، وتسمّى الدراسة النّظاميّة ، حسب نظام الأزهر الشريف ، ومدتها الزمنية أربعُ سنواتٍ . انظر ، المرجع السابق ، ص٣٢ ، ٣٣ .

(٥) تعني الشهادة العالميّة : هي التي يجتازُ فيها الطالبُ ، جميعَ الموادِّ العلميّةِ ، المُقرّرةِ في التعليم العالي ، ولكنّ مُدتها الزمنيّةَ سنةٌ دراسيّةٌ واحدةٌ ، وتؤدّى بامتحانٍ واحدٍ عامٍ ، ويحملُ خرّيجوها ما يُسمّى بالشهادةِ العالميّةِ . انظر ، المرجع السابق نفسه .

الأربعِ سنواتٍ كُلِّها ، آخرَ هذا العامِ الذي قَدِمتُ فيهِ إلى القاهرةِ ، وكنتُ أعلَمُ أنّ التّقدُّمَ للامتحانِ في الشّهادةِ العالميّةِ ، بعدَ الحصولِ على ثانويّةِ الأزهرِ مباشرةً فيهِ خطرٌ كبيرٌ ؛ لأنّهُ يتطلّبُ جَهداً كبيراً للغايةِ في مُذاكرةِ موادِّ الدّراسةِ في القسمِ العالي . راجَتِ الإشاعاتُ أنّ مشيخةَ الأزهرِ ، ستضعُ قُيوداً شديدةً على الامتحانِ ، بحيثُ لا ينجحُ فيهِ إلاّ مَنْ هو فوقَ المتوسطِ . عِندها استشرتُ والدي فتركَ الأمرَ إليَّ ، ووعدَ بالدُّعاءِ بالتّوفيقِ . وكعادتهِ أعلنَ استعدادَهُ الفوريَّ والكاملَ ، لجميعِ النّفقاتِ التي أحتاجُها ، وما عليَّ إلاّ أنْ أطلُبَ فقط ، وفي الوقتِ نفسهِ شجّعني ، قائلاً : بأنّها تجربةٌ سوفَ لا أخسرُ فيها ، حتّى لوْ لمْ أنجحْ)[1]. بعدَ شهرينِ مِنْ دراستهِ في القسمِ العالي ، تحوّلَ إلى الالتحاقِ بدرجةِ العالميّةِ النظاميّةِ ، في جميعِ الموادِّ العلميّةِ المُقرّرةِ ، واختارَ بعضَ كبارِ مشايخِ الأزهرِ[2]، لينالَ على أيديهِم دراسةَ الكُتُبِ الخاصّةِ في سنواتِ القِسمِ ، وكانَ مِنْ بينِهم مَنْ شجّعهُ ، بلْ وشاركَهُ في إعدادِ أفضلِ المراجعِ ، واعتمدَ أيضاً على جَهدِهِ الخاصِّ في المُذاكرةِ والمُراجَعةِ ، فكانَ يبدأُ في فترةِ الصّباحِ مِنَ السّاعةِ السّادسةِ ، مُنزوياً في أحدِ أركانِ «مسجدِ الحُسينِ» في القاهرةِ ، ثمّ يَروي بثّاً حيّاً ، واصفاً فيهِ يومَ مُذاكَرَتِهِ ، وما يُواجَهُ في سبيلِ العِلْمِ والتّعلُّمِ مِنْ مُعاناةٍ جَمَّةٍ : (وكثيراً ما كانَ يُطاردُني أحدُ الفرّاشينَ فيهِ ، رغمَ أنّي لا أرفعُ الصّوتَ إطلاقاً وكانت هذه المُطارَدةُ تُشوّشُ عليَّ ، ولكنْ بعدَ لحظةٍ أعودُ إلى المسجدِ ، في زاويةٍ أُخرى لا يكونُ فيها أحدٌ وهكذا قضيتُ ثمانيةَ أشهُرٍ للإعدادِ لامتحانِ الشهادةِ العالميّةِ ، ثمّ أديّتُ الامتحانَ التّحريريَّ في أربعةَ عشرَ

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير .

(٢) كان منهم الشيخ «حسين سامي» الذي يُجيدُ مادةَ التفسيرِ ، ولديه مكتبةٌ كبيرةٌ في جميعِ العلومِ الإسلاميّةِ ، ومن سكّانِ القاهرةِ ، في حي السيدة «زينب» ، والشيخ «المرصفي» يعتبر مرجعاً في علم الأُصول ، والشيخ «علي النّجار» عضو لجنة كبار العلماء في الأزهر الشريف . انظر ، المرجع السابق نفسه .

يوماً ، والشّفويَّ في أربعةِ أيّامٍ وقد ظهرتِ النّتيجةُ وحصلتُ على ترتيبِ الأوّلِ ، وكانَ عددُ النّاجحينَ أربعةً فقط ، من بينِ أربعمائةٍ وثمانينَ تقدّموا لهذا الامتحانَ[1].

بعدَ إعلانِ النتيجةِ ، صدرَ قانونٌ في عام ١٩٢٥م ، يقومُ على اختبارٍ تحريريٍّ ، للمُتقدّمينَ مِنْ حَمَلَةِ الشّهادةِ العالميّةِ ، ممّن سيدخُلُونَ دراساتِ التّخصُّصِ[2]، فاختارَ الدُّخولَ في شُعبةِ البلاغةِ والأدبِ . وسببُ اختيارِهِ لهذهِ الشُّعبَةِ ؛ لأنَّ التدريسَ فيها كان يُباشرُهُ كبارُ الأساتذةِ[3] في دار العلومِ ، ولهُم سُمعةٌ علميَّةٌ واسعةٌ .

كانتْ مُدّةُ الدّراسةِ ثلاثَ سنواتٍ ، حَصَلَ على التّرتيبِ الثّاني بينَ المقبولينَ ، فشرعَ في إعدادِ رسالتِهِ ، التي كانت بعنوان : «أثرُ الفكرِ الإغريقيِّ في الأدبِ العربيِّ . . . نثراً ونظماً» . نجحَ في الامتحانِ بترتيبِ الثّاني أيضاً ، وقد بلغَ الخامسةَ والعشرينَ مِنَ العُمُرِ .

* * *

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) وضعت هذه الدّراسة تحت إشرافِ المرحومِ الشيخ« عبد المجيد سليم» ، مفتي الدّيارِ المصريّةِ في ذلكَ الوقتِ ، ومن شروطها ألاّ يتجاوزَ عددُ المقبولينَ في الشُّعبةِ الواحدةِ عن خمسةِ أشخاصٍ . انظر ، المرجع السابق نفسه .

(٣) كبار الأساتذة هم : ١: الشيخ أمين الخولي . ٢: الأستاذ يوسف نجاتي بك . ٣: الشيخ علاّم سلامة . الذين تشرّف بموافقتهم بالإشراف والتّوجيه على رسالته . انظر ، المرجع السابق نفسه .

المبحثُ الثاني

سفرُهُ إلى الخارجِ

تلقّى «البهيُّ» خِطاباً مِنْ رئيسِ مجلسِ مُديريّةِ «البحيرةِ»[1]، يُخبرُهُ فيهِ بأنّهُ وقعَ عليهِ الاختيارُ، في بعثةٍ دراسيّةٍ إلى «ألمانيا»، وجرى لَهُ ولزميله[2] الآخرَ احتفالٌ مِنْ أعيانِ المُديريّةِ وكبارِ موظّفيها، ورتّبَ لَهُما المجلسُ أيضاً لقاءً بوزيرِ المعارفِ المِصريّةِ[3]، والملكِ «فؤادِ الأول» يصفُ «البهيُّ» هذا اللقاءَ فيقولُ: (وفي ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣١م، عندما أُذِنَ لنا بالدُّخولِ على «المَلِكَ فؤادٍ» لُلقاءِ بهِ قبلَ السّفرِ، تمنّى لنا كلَّ خَيرٍ، وأمِلَ في أنْ يَرى - مِنْ بينِ عُلماءِ الأزهرِ - علماءَ يُضارِعونَ رجالَ الأديانِ الأُخرى، في إلمامِهم باللُّغاتِ وتحصيلِهم لألوانِ المَعْرِفَةِ)[4]. أمّا السّببُ المُباشَرُ الذي ميّزَهُ، في الحصولِ على البعثةِ الدراسيّةِ لألمانيا، والتّخصصِ بمادةِ الفلسفةِ هو: رسالتُهُ التي تبحثُ

---

(١) رئيس مجلس البحيرة: هو المرحوم «عبد السلام باشا الشاذلي»، حيثُ اقترحَ أن تكون هناك بعثةٌ دراسيّةٌ «للبهيّ»، إلى ألمانيا تخليداً لذكرى المرحوم الشيخ «محمد عبده». انظر، محمد البهي: حياتي في رحاب الأزهر، طالب. وأستاذ. ووزير.

(٢) الزميل الآخر هو: «محمد عبد الله ماضي» كان الطالب الثاني في البعثة إلى ألمانيا. انظر، محمد فهيم غيث: زيارة خاصّة ومقابلةٌ شخصيّةٌ للباحث، ٢٣ مايو ٢٠٠٧.

(٣) وزير المعارف المصريّة في ذلك الوقت هو: «حلمي باشا عيسى» في عام ١٩٣١م. انظر، محمد البهي: حياتي في رحاب الأزهر، طالب. وأستاذ. ووزير، ص٣٧.

(٤) المرجع السابق نفسه.

أثرَ الفكرِ الإغريقيِّ في الأدبِ العربيِّ ، مِنْ حيثُ النَّثرِ والنَّظمِ على حدٍّ سواءٍ ، وفي ٢٩ من سبتمبر سنةَ ١٩٣١م ، سافرَ مِنَ «الإسكندريّةِ» بحراً إلى «برلينَ»، التي وصلَ إليها بعدَ خمسةِ أيّامٍ ، فعانى الكثيرَ في سبيلِ التّفاهُمِ معَ الآخرينَ ؛ لأنّهُ لم يكنْ يعرفُ لغةً أجنبيّةً قطُّ ، لذلكَ التحقَ ـ منذُ أكتوبر سنةَ ١٩٣١م ـ بمعهدِ تعليمِ اللُّغةِ الألمانيّةِ[١]، وكانتْ مُدّةُ الدّراسةِ فيهِ ثمانيةَ أشهُرٍ . ثمّ تجدُهُ يتحدّثُ عمّا اعترضَهُ مِنْ مشقّاتٍ في تلقّيه للعلمِ أثناءَ دراستهِ ، فيقولُ : (ولعلّ ما صادَفني مِنْ عَقباتٍ ، في تعلُّمِ اللُّغةِ الأجنبيّةِ ، هو الّذي دفَعني إلى التّفوُّقِ في اللُّغةِ الألمانيّةِ ، كما سعيتُ جاداً في تعلُّمِ اللُّغةِ الإنجليزيّةِ أثناءَ العُطلةِ الصّيفيّةِ ، كذلكَ هيَ العَقَباتُ التي جَعلتني أُرحِّبُ بدراسةِ اللُّغتين : الإغريقيّةِ القديمةِ ، واللاتينيّة ، كشرطٍ لقَبولي في دخولِ الامتحانِ في الفلسفةِ ، وهيَ الأُمورُ التي جعلتني أخيراً ، أوصي أبنائي مِنَ الكُلّيّاتِ المُختلفةِ في الأزهرِ ، بتعلُّمِ اللُّغاتِ الأجنبيّة ، كما حملتني على أنْ أُعِدَّ لَهُم دراساتٍ فيها ، يومَ تولّيتُ إدارةَ الثقافةِ بالأزهر)[٢]. وفي سبتمبر سنة ١٩٣٢م ، انتقلَ إلى جامعة «هامبورج»[٣] الألمانيّةِ ، ثمّ بدأ يدرسُ الفلسفةَ وعِلمَ النّفسِ ، على

---

(١) وهو معهدٌ مُلحقٌ بجامعة «برلين» في ذلك الوقت ، ويقع فيما سُمّيَ فيما بعدُ «بألمانيا الشرقيّة» ، أو القسم الشيوعي من ألمانيا ، وأُطلقَ عليه «الجمهوريّة الألمانيّة الديمقراطيّة» من عام ١٩٤٩-١٩٩٠م ، وعاصمته «برلين الشرقيّة» ، نُظِّمَ اقتصادياً وسياسياً على النّمط السوفياتي ، بقيادة الحزب الاشتراكيّ الموحّد ، [قبل اتحاد الألمانيتين] في ٣ تشرين الأول ١٩٩٠م . انظر ، قسطنطين تيودوري : المنجد في اللغة والأعلام ، ص٦٥ .

(٢) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٤١ ، ٤٢ .

(٣) هامبورج : تكتب أيضاً «همبورغ» ، مدينةٌ في شمال ألمانيا تقع على مصب نهر الألب ، ومن أهمّ مرافئ أوروبا بعد «روتردام» «ولندن». انظر ، قسطنطين تيودوري : المنجد في اللغة والأعلام ، ص٥٩٧ .

أيدي مشاهيرِ الأساتذة[1]، وعملَ أثناء ذلك بحثاً تمهيديّاً فلسفيّاً ، عقدَ فيه مقارنةً بينَ عَالِمٍ وفيلسوفٍ شرقيٍّ ، وآخرَ غربيٍّ[2]، مُجلّياً بوضوحٍ فلسفةَ كِليْهما في الحياةِ ، ومنوِّهاً مِنْ خلالِ ذلكَ بالتّربيّةِ القوميّةِ في مصرَ ، وعرضِها بثوبٍ جديدٍ مِنَ الدّعوةِ إلى الإصلاحِ . وفي مايو سنة ١٩٣٦م ، حَصَلَ على درجةِ «الدكتوراه» بتقدير «امتياز»، كما حازَ دبلوماً في اللُّغةِ الألمانيّةِ وآدابِها ، بتقدير «امتياز» أيضاً . ثمَّ قَفَلَ عائداً بزيارةٍ إلى القاهرةِ ، فاستقبلَهُ في المحطّةِ كبارُ أهل الفضْلِ والعِلْمِ[3]، مُشيدينَ بجَهدِهِ ونتائجِهِ العلميّةِ المُتميّزةِ . لكنَّهُ ما لبثَ عائداً إلى «ألمانيا» في بعثةٍ أُخرى[4]، للحُصُول على درجةِ الأُستاذيّةِ بعد الدكتوراه ، إلى أن ظهرت بوادرُ الحربِ العالميّةِ الثّانيَةِ في سماءِ العالَم عامَ ١٩٣٨م ، فرجعَ إلى مصرَ وباشرَ التدريسَ في كليّة أُصولِ الدِّينِ .

* * *

---

(١) مشاهير الأساتذة الألمان هم : ١ : البرفسور «إيرنست كاسرير» ٢ : البرفسور« وليم ستيرن» . اُنظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٤٣ .

(٢) الفيلسوفان الشرقي والغربي هما : «محمد عبده» و «هيجل» . واسمه فردريش هيغل (١٧٧٠- ١٨٣١م) فيلسوف ألماني ، ولد في شتوتغارت ، قال إنّ الكائنَ والفكر شيءٌ واحدٌ هو الفكرةُ ، والفكرةُ تتطورُ على مراحل : الإثبات ثمّ النّقض ثمّ الخلاصة ، له «المنطق الكبير» و «مبادئ فلسفة الحق» انظر ، قسطنطين تيودوري : المنجد في اللُّغة والأعلام ، ص ٦٠٦ .

(٣) أهل الفضل والعلم هم : ١: الشيخ «محمود شلتوت». ٢: الشيخ «محمد عبد اللطيف دراز». ٣ : الأستاذ الكبير الشيخ «الزنكلوني» . اُنظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٤٤ .

(٤) البعثةُ الثانيةُ «للبهيّ» إلى ألمانيا كان الفضلُ فيها : للشيخ المرحوم «محمد مصطفى المراغي» شيخ الأزهر في عام ١٩٣٦م ، الذي لم يدّخر وسعاً في تيسير متطلبات استمرار البعثة ، ونقل حسابها من مجلس مديرية «البحيرة» إلى إدارة الأزهر . انظر ، المرجع السابق نفسه .

المبحثُ الثّالثُ

المناصب التي تقلّدها

عُيّنَ «البهيُّ» مُدرّساً لمادةِ الفلسفةِ ، في كليّة أصولِ الدّينِ ، التّابعةِ للأزهر الشريف ، بعدَ عودتهِ من «ألمانيا» مباشرةً ، في أغسطس سنة ١٩٣٨م ، كما باشرَ عملَهُ الإضافيَّ ، مُدرّساً لعلمِ النّفسِ ، بقسمِ تخصُّصِ التّدريسِ ، والذي يتبعُ كليّةَ اللُّغةِ العربيّةِ في الإدارةِ .

نظراً لنشاطِهِ وتفانيهِ في الوظيفةِ ، حازَ أعلى درجاتِ التّصنيفِ ، إذْ يقولُ : (قُدِّرَتْ ليَ الدرجةُ الخامسةُ في أوّلِ التّعيينِ ، بينما كان الكادرُ الخاصُّ بالعُلماءِ لا يتجاوزُ الدّرجَةَ السادسةَ ، . . . [فكان هذا] سبباً في نشرِ إشاعاتٍ ، ضدَّ الرأي السليم [الصّوابِ] الذي أتبنّاهُ في شأنِ العلاقةِ ، بينَ الفلسفةِ الإغريقيّةِ مِنْ جانبٍ ، والإسلامِ مِنْ جانبٍ آخرَ . . . وكنتُ إذْ ذاكَ بجانبِ التّدريسِ أُباشرُ العملَ في مُراقبةِ الثّقافةِ الإسلاميّةِ ، بالإدارةِ العامّةِ للأزهرِ)[1].

نُقِلَ عام ١٩٥٨م ، ليعمَلَ مُديراً عامّاً للثّقافةِ الإسلاميّةِ ، بإدارةِ الأزهرِ الشّريفِ ، ثُمَّ رُقيَّ بعدَ ذلكَ إلى مَنصِبِ أوّلِ مديرٍ لجامعةِ الأزهرِ .

ومِنَ الملحوظِ بأنَّ «البهيَّ» لم ينقطعْ عنْ تدريسِ المُحاضراتِ ، التي كانَ يقومُ بتدريسِها مِنْ قَبْلُ في كُليّةِ اللُّغةِ العربيّةِ ، إلى جانبِ عملهِ الإداريِّ ، الذي وجدَ فيه مشقةً كبيرةً ، بسببِ تجمُّعِ عِدّةِ إداراتٍ ، هيَ : إدارةُ المكتبةِ ، إدارةُ

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٤٦-٥٥ .

الوعظِ ، إدارةُ البحوثِ والثقافةِ ، إدارةُ المطبعةِ ، وإدارةُ المجلّةِ ، واعتلالُ صحّةِ الأستاذِ الأكبرِ ، الشيخ محمود شلتوت من جانبٍ آخرَ .

في تلكَ الأثناءِ والظُّروفِ ، صدرَ قرارٌ جمهوريٌّ بتعيينه وكيلاً لجامعةِ الأزهرِ ومُديراً لها بالنِّيابةِ عام ١٩٦٢ م ، فوجدَ فُرصةً سانحةً ، لإجراءِ ما يجبُ أنْ يكونَ عليهِ الأزهرُ مِنْ تجديدٍ وإصلاحٍ ونظامٍ ، فيقولُ : (وعَمِلتُ جاهداً على تجديدِ الكُلّياتِ ، فتقرّرَ إعادةُ الكُلّياتِ الثّلاثِ ، هِيَ : أُصولُ الدّينِ ، والشّريعةُ ، واللُّغةُ العربيَّةُ ، بالإضافةِ إلى الكُلّياتِ العِلْميّةِ والعَمَليّةِ ... وأنشأتُ مَعَها كُليّةَ البناتِ الإسلاميّةِ ، وكليّةَ التّربيةِ .

كما تألفَتْ لِجانٌ لوضعِ المناهجِ لُكلِّ كُليّةٍ . خَطّطتُ كذلكَ لإعدادِ المُدرّسِيْنَ والأساتذةِ ، على مدى عَشْرِ سنواتٍ ، حتى يكونَ للجامعةِ اكتفاءٌ ذاتيٌّ بعدَ ذلكَ . وبعدَ ستّةِ أشهُرٍ مِنْ تَعييني وكيلاً للجامعةِ ومُديراً بالنِّيابَةِ ، صدرَ قرارٌ بتعييني مُديراً [لجامعةِ الأزهرِ] ، وَمَضَتْ مُدةٌ قصيرةٌ على مُباشَرتي إدارة [الجامعةِ ثُمّ] في التاسعِ والعشرينَ مِنْ شهْرِ سبتمبر سنةِ ١٩٦٢م ، نُقلتُ إلى وزارةِ الأوقافِ وشُئونِ الأزهرِ . . . وعندما سألني رئيسُ المجلسِ التّنفيذيّ[١] ، عنْ رأيِ الرّئيسِ في قَبولي وزارةِ الأوقافِ وشُئونِ الأزهرِ ، شكرتُهُ وشكرتُ الرئيسَ معاً ، وتحدّثتُ إليهِ عنِ الضّرورةِ التي تَقضي بوجُودي ، في إدارةِ الجامعةِ فترةً أُخرى مِنَ الزّمنِ ، فأجابَ في إصرارٍ على تركِها ولم أجدْ توضيحاً لهذهِ الإجابةِ إلاّ في سنةِ ١٩٦٩م ، وهو الحيلولةُ بيني وبينَ النّشاطِ في وظيفةِ الجامعةِ)[٢].

---

(١) رئيس المجلس التنفيذي هو : «علي صبري» ، واستُحدِثَ تنظيمُ المجلس التّنفيذي تحت ما يُسمّى بمجلس الرياسة ، [لكيلا ينفردَ] أيُّ واحدٍ ممّن يُسمونَ ضباط الثورة ، بالحُكمِ وشئونهِ . انظر ، محمد البهيّ : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأُستاذ . ووزير ، ص٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٦٨-٧٠ .

باشَرَ العملَ وزيراً للأوقافِ وشُئونِ الأزهرِ في عامِ ١٩٦٢م ، وتمَّ تنظيمُ سيرِ العملِ بما يُطَمْئِنُ أصحابَ المصالحِ فيها ، وبما تُؤدَّى معَهُ الخدَماتُ حَسَبَ الطّاقةِ البشريَّةِ والإمكانيّاتِ المُتاحةِ ، وفي الخامسِ والعشرينَ مِنْ شهرِ مارس ، سنة ١٩٦٤م ، صدرَتْ قراراتٌ جمهوريّةٌ بالتعديلِ الوزاريِّ .

وَعُيِّنَ «البهيُّ» مُديراً لجامعةِ الأزهرِ ، للمرّةِ الثّانيةِ ، لكنّهُ قدّمَ استقالتَهُ في اليوم الثاني منَ التّشكيلِ الوزاريِّ ، ثمّ عُرِضَتْ عليهِ وظائفُ إداريّةٌ متنوعةٌ وعديدةٌ ، فاعتذرَ عنْ قَبولِها ، وأخيراً صدرَ قرارٌ جمهوريٌّ بتعيينهِ أُستاذاً للفلسفةِ الإسلاميّةِ ، بكليّةِ الآدابِ بجامعةِ القاهرةِ ، في درجةِ وزيرٍ .

وفي الثّالثِ مِنْ أغسطُس سنةِ ١٩٦٥م ، بلغَ سِنَّ السِّتّين : عندئذٍ أُحيلَ إلى المعاشِ ، حسبَ قانونِ الجامعاتِ ، فاعتكفَ في منزلهِ ، وإذا بقرارٍ يصدُرُ من مجلسِ الوزراءِ ، بإضافةِ خمسِ سنواتٍ أُخرى في عُمُرِ الوظيفةِ ، فعُرِضَ عليهِ وظيفةُ عُضوٍ مُتفرِّغٍ ، في مَجْمَعِ البُحوثِ الإسلاميّةِ ، فأصرَّ على الاعتذارِ ، بالرَّغمِ أَنَّهُ لم يكنْ في ذلكَ الوقتِ ، يملكُ أُجرةَ بيتهِ[1]، ثمَّ نَشرتْ لهُ دارُ المعارفِ كتاباً ، فأُعطيَ مُكافأةً قدرُها « ٣٠٠ » جُنيهٍ ، أفرجَتْ عَنْهُ أزمتَهُ ؛ لذلكَ آثرَ التّفرُّغَ للتأليفِ والكتابةِ ، مِمّا حَدا بهِ أنْ يستمرَّ علَى هذا المِنوالِ ، حتّى آخرَ لَحظةٍ في حياتهِ .

* * *

(١) محمد فهيم غيث : زيارة خاصّة ومقابلةٌ شخصيّةٌ للباحث ، ٢٣مايو ٢٠٠٧.

المبحثُ الرابعُ

مشاركتُهُ في المؤتمراتِ والنّدواتِ الدّوليّةِ

اعتنى «البهيُّ» عنايةً فائقةً بأمر التجديدِ والإصلاحِ ، بَلْ كانتْ شُغْلَهُ الشّاغِلَ هُمومُ المُجتمعِ مِنْ حولهِ ، وما تُعانيهِ الأُمّةُ العربيّةُ والإسلاميّةُ ، مِنْ اختلالٍ في أنظمتِها وأوضاعِها ، ومِنْ فسادٍ في الأفكارِ والأخلاقِ ، وانحرافاتٍ شَملتِ الكثيرَ مِنَ المعنوياتِ والماديّاتِ ، فلم يسلمْ مِنْ ذلكَ الدّينُ ولا الثقافةُ ، ولا السياسَةُ ولا الاقتصادُ ، فأوشكتِ العَدوى أنْ تنتقلَ إلى جميعِ جوانبِ المُجتمعاتِ ، ومُقوّماتِ عناصرِ حياتِها ، ومظاهرِ تُراثِها وتاريخِ أمجادِها ، فضلاً عَنْ مُستقبلِ معاشِها .

نظراً لدراستهِ الأزهريّةِ الإسلاميّةِ ، والجامعيّةِ الأوروبيّةِ ، ورحلاتِهِ الدّوليّةِ المُتعدّدَةِ في الشرقِ والغربِ ، ثمّ ثقافتهِ الواسعةِ ، وخبراتِهِ العمليّةِ في مؤسّساتِ العِلمِ والبَحْثِ ، وأجهزةِ الثّقافةِ والتّوجيهِ ولجانِ التّخطيطِ ، ممّا جعلَهُ يُثري المؤتمراتِ والمكتباتِ العربيّةِ والإسلاميّةِ ، والنّدواتِ الدّوليّةِ والعالميّةِ ، بأفكارِهِ النّيّرَةِ ، ومؤلفاتِهِ القيّمَةِ . يشهدُ بهذا قولُهُ : (فبالرّغمِ مِنْ أنَّ لي كُتباً وكِتاباتٍ غيرَ كتابِ «الفكرِ الإسلاميِّ الحديث وصلتِهِ بالاستعمارِ الغربيِّ» فقدْ كُنتُ أُعرَفُ وأُعرَّفُ بهِ في رحلاتي المُختلفَةِ في المشرقِ والمغربِ ، سواءٌ في الباكستان ، أو في الملايو ، أو في أندونيسيا ، أو في الفلبين ، أو في شمال أفريقية : في ليبيا وفي المغربِ ، أو في غربِ أفريقية : في نيجيريا ، . . . وقدْ قصدْتُ بهذا الكتابِ بيانَ السّبيلِ ، لِمَنْ يحرِصُ في الشرقِ الإسلاميِّ على

الاستقلالِ في التَّفكيرِ وفي السِّياسَةِ ، مِنْ مُفكِّري الإسلامِ وزُعماءِ السِّياسَةِ بينَهُم)[1].

أرادَ «البهيُّ» إذاً أنْ يُواجِهَ ـ بفكرِهِ الإسلاميِّ الحديثِ ، مواجهةً مُباشَرةً ـ تياراتٍ فكريّةً مُستترةً وراءَ عناوينَ خادعةٍ ، تهدِفُ فصلَ المُسلمينَ عنْ دينِهم ، ووضعِهم في مجالاتِ التَّبعيّةِ لغيرِهِم . هُمْ وما بينَ أيديهِم مِنْ ثَرواتٍ طبيعيّةٍ ، وما لديهِم مِنْ طاقاتٍ بشريّةٍ ، لذلكَ كانَ حَرباً على التَّيّاراتِ الرّأسماليَّةِ المادِّيَّةِ ، والماركسيَّةِ الإلحاديَّةِ ، على حدٍّ واحدٍ سواءٍ بسواءٍ .

بهذا الفَهمِ الواسعِ والفكرِ الإيمانيِّ الثّاقبِ ، شاركَ «البهيُّ» في المؤتَمراتِ والنَّدَواتِ الدَّوليَّةِ ، والنّشاطاتِ والفعاليّاتِ الجامعيّةِ المتعدِّدَةِ التّاليةِ :

١- كانَ عُضواً في المؤتمرِ الثَّقافيِّ الأوَّلِ ، لجامعةِ الدُّولِ العربيّةِ بالإسكندريّةِ عامَ ١٩٥٠م .

٢- شاركَ في النّدوةِ الإسلاميّةِ بجامعةِ «برنستون» ومكتبةِ الكونجرس الأمريكيِّ ، «بواشنطن» عام ١٩٥٣م .

٣- عمِلَ أُستاذاً زائراً لجامعةِ «ماكجيل بمونتريال» في كندا ، عامَ ١٩٥٥/١٩٥٦م .

٤- شاركَ بالنّدوةِ الإسلاميّةِ العالميّةِ ، «بلاهور» بباكستانَ عام ١٩٥٨ م .

٥- زارَ «الملايو وإندونيسيا والفلبينَ» بصُحْبَةِ الإمامِ الأكبرِ الشَّيخِ «محمود شلتوت» . وتفقّدَ أحوالَ المسلمينَ هُناكَ ومساجدَهُم عام ١٩٦١ م .

٦- شاركَ كأُستاذٍ زائرٍ بجامعة «الرِّباطِ» بالمغربِ عامَ ١٩٦١م .

٧- عَمِلَ عضواً في مجمع البحوث الإسلاميّةِ بالأزهر عام ١٩٦٢م .

٨- كانَ عُضواً في أعمالِ المجلسِ الأعلى ، للفُنونِ والآدابِ في القاهرة .

---

(١) محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١٤ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص٩-٢٠ .

٩- عَمِلَ مُستشاراً في المؤتمرِ الإسلاميِّ بالقاهرةِ .

١٠- كانَ أُستاذاً زائراً لجامعةِ «الجزائرِ وقُسطنطينةَ» بالجزائرِ عامَ ١٩٦٨/١٩٦٩م .

١١- اشتغلَ أُستاذاً زائراً لجامعةِ «قَطَرَ» عامَ ١٩٧٩/ ١٩٨٠م .

١٢- عَمِلَ أستاذاً زائراً لجامعةِ «العَينِ» في الإماراتِ العربيَّةِ المُتحدَةِ ، عامَ ١٩٨٠/ ١٩٨١م .

١٣- احتفلَ بوضْعِ حجرِ الأساسِ ، لدارِ القُرآنِ الكريمِ في مسجدِ الفتحِ ، في محطّةِ مِصْرَ ، في شهر مارس ، سنة ١٩٦٤م .

١٤- احتفلَ بوضعِ حجرِ الأساسِ ، في بناءِ جامعةِ الأزهرِ ، في مدينةِ نَصْرٍ ، في القاهرةِ .

عاشَ «البهيُّ» عصرَهُ باحِثاً ومؤلِّفاً ، عالِماً ونَاقِداً ، لَهُ إحساسٌ فيّاضٌ بالغيرةِ والمحبّةِ لدينِهِ وأُمَّتِهِ الإسلاميّةِ قاطِبَةً .

فَهُوَ صاحِبُ نزْعةٍ إنسانيّةٍ علميّةٍ واجتماعيّةٍ ، تقومُ على رفعِ مُستوى الإنسانِ ، وبناءِ حضارتِهِ المادِّيَّةِ ، على أنْ تكونَ : (رُوحيّةً في التّوجيهِ ، [فَهُوَ لا يُنكِرُ] أنْ يُبَصَّرَ الإنسانُ بنفسِهِ ، وخصائصِ عقلِهِ وجسمِهِ ، [لكنّهُ لا يُريدُ] أن يكونَ التّبصيرُ على حسابِ إهدارِ القيَمِ الإنسانيّةِ الخالدةِ ، وبباعثٍ مِنْ إثارةِ الفَوضى في المُجتمعِ الإنسانيِّ)[1].

يدعُو في ندواتِهِ ومؤتمراتِهِ المُسلمينَ جميعاً ، أن يضعوا نُصْبَ أعيُنِهِم ، بلْ يُوجِّهوا قُدراتِهِم وإمكانيّاتِهِم نحوَ الاعتبارِ البَشَريِّ ، لكي يُساعدوا في تحقيقِ ، هدفِ المجتمعِ الإنسانيِّ وهو هدفٌ لا يقومُ على كَثرةِ الكَمِّ أوِ العددِ ، ولكنّهُ

---

(١) محمد البهي : أثر الروحيّة في توجيه الشباب ، محاضرات الموسم الثقافيّ ، وزارة الإعلام والثقافة ، أبو ظبي ، ١٤٠٣-١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣-١٩٨٤م ، رقم المحاضرة «١٥» ، ص٤٢٥ .

يعتمِدُ قبلَ كلِّ شيءٍ على النّوعيّةِ ؛ لأنّهُ هدفٌ حضاريٌّ يتمثّلُ : في الاستقرارِ ، والمَودّةِ والرّحمةِ ، ويكمُنُ هذا التّكليفُ الرّبانيُّ للأُمّةِ الإسلاميّة ، دونَ غيرِها ، في قولهِ تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة:١٤٣).

يُحدّثُ القرآنُ الأُمّةَ الإسلاميّةَ عن حقيقتِها الكُبرى في هذا الكونِ ، وما هيَ وظيفتُها الضّخمةُ في حياةِ النّاسِ ، ممّا يقتضي أن تكونَ لها شخصيّتُها المُميّزةُ .

(إنّها الأُمّةُ الوسطُ التي تشهدُ على النّاسِ جميعاً ، فتُقيمُ بينَهُمُ العدلَ والقِسطَ ، وتضعُ لهُم الموازينَ والقِيَمَ ، . . . [أُمّةُ الوسطِ] في التّصورِ والاعتقادِ ، لا تغلُو في التّجرُّدِ الرُّوحيِّ ، ولا في [التّردي] المادّيِّ) [1].

هذهِ هِيَ السِّماتُ البارزةُ لأُمّةِ الإسْلامِ ، الّتي طالَما سطّرها «البهيُّ» في مُعظمِ المؤتَمراتِ والنّدواتِ الّتي كانَ يُشارِكُ فيها ، بُكلِّ جُرْأةٍ واقْتِدارٍ ، أرادَها أنْ تكونَ أُمّةَ التّنظِيمِ والتّنسيقِ ، والتّفكيرِ والشُّعورِ . لا تَجمُدُ على ما عَلِمتْ وتُغْلِقُ مَنافذَ التّجربةِ والمعرفةِ ، ولا تُقلّدُ كُلَّ ناعِقٍ وزاعِقٍ ، إنّما تَتَمَسّكُ بما لديها مِنْ تَصوُّراتٍ ومناهِجَ وأُصولٍ ، بلا تَفريطٍ ولا إفراطٍ . ولكنْ في قَصْدٍ وتناسُقٍ واعتدالٍ .

• • •

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ١/١٨٠ ، ١٨١ .